طريق الضباب

أميرة سعيد

كتاب: طريق الضباب
تأليف: أميرة سعيد
الناشر: أدباء ٢٠٠٠
الطبعة الأولى ٢٠١٨
رقم الإيداع: ٢٧٩٣٧ / ٢٠١٧
تصحيح لغوي: الدرعمي، مصطفى علاء
إخراج فني: محمد فايز
تصميم الغلاف: محمد علي
المدير العام : منة عامر
حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لدار أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع-٢٠١٧

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أونقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقةخطية من الناشر مقدما

دار أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع
نشر – توزيع
0020/01020812429 –01099654718

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي وأمي وإخوتي، تلك الأسرة الصغيرة التي ساندتني في كل خطوة.

إلى كل أصدقائي الذين دعموني.

إلى دار (أدباء ٢٠٠٠) التي ساعدتني على تحقيق أول حلم لي بنشر عملي.

إلى كل من: (أ/منة عامر) ، (أ/محمد عماد)، (أ/مدحت رأفت)، (أ/عبدالله هنداوي)، الذين ساندوني كثيرًا.

وأخص بالشكر شخصًا بمثابة أخي الأكبر هو (أ/علي أحمد)، فلقد قدم لي كثيرًا من الدعم والمساعدة.

وكل الشكر للأستاذ (محمد علي) مصمم غلاف المجموعة,

وإليكم جميعًا جزيل الشكر والتقدير، وأهدي لكم هذا العمل المتواضع، وأرجوا أن ينال إعجابك!

ما بعد اليأس

يوم جديد يبدأ في ليل حياتها الطويل الذي لا تعلم، هل سيكون أفضل من الأمس أم سيكون هو الأمس كما هو الحال في لياليها السابقة؟ قامت "إيناس" لتبديل ملابسها؛ لتذهب إلى طفلها التي طالما اشتاقت لضحكته التي تملأ بيتها سعادة، أعادت ترتيب ملابسها ونظرت إلى وجهها في المرآة وتنهدت تنهيدة أخرجت فيها كل آلامها، وذهبت لتجلب ابنها من مدرسته:

– أستاذة "عبير" كيف حالكِ؟

– أنابخير الحمد لله، ما هي أحوالكِ أنتِ؟ أشكر الله على فضله، ولكني أود اصطحاب ابني "محمد" إن كان قد انتهى يومه الدراسي، هو بالفعل قد انتهى من دراسته اليوم، ولكني أود التحدث معكِ في أمر هام.

– ما هو أخبريني؟

أستاذة"عبير" مدرسة بالصف الثالث الإبتدائيّ، محبوبة من الجميع، يميزها لون شعرها البندقي الذي يضيف لها جمالًا من نوع آخر مع لون عينها العسلي.

– لقد كان "محمد" يبكي بشكل غريب طوال اليوم، كما إنه لا يود اللعب مع أصدقائه ولا يتجاوب معي أثناء الشرح، وعندما أسأله عما به يبكي، لقد أصبح هكذا منذ فترة، أرجو منكِ سيدتي أن تذهبي به إلى الطبيب، فحالته أصبحت حرجة، فمن الممكن أن يصبح شخصًا عدوانيًّا نتيجة إحساسه الدائم بالعجز، اعذريني أعرف أنني ضايقتكِ بكلامي، ولكني أعتبر "محمد" مثل طفلي، لذلك أتحدث معك بحرية.

– لا عليكِ أنا أعرف كل ذلك، ولكنكِ تعرفين أننا ذهبنا لعدة أطباء، ولكن كلامهم واحد، ادعي لنا أن يريحنا الله!

– حاضر إن شاء الله، لحظة وأحضره لك.

لم تكمل "عبير" كلامها؛ لأنها سمعت صوت صراخ قادم من فصل "محمد" فذهبت للفصل وخلفها والدة "محمد"، ووجدا شجارًا هائلًا بين "محمد" ابنها وزميله "عبدالله"،فصرخت "عبير" فيهما فأوقف الأولاد الشجار، نظرت "إيناس" إلى طفلها وفرت دمعة هاربة منها، وشردت بذهنها:

- خير يا دكتور طمنا!

- لازم تعرفوا إن كل حاجة مكتوبة إنها تحصل،إحنا عملنا كل اللي علينا بس للأسف مفيش أي تحسن في حالته أساسًا، مفيش استجابة للعلاج.

***

- "إيناس"... "إيناس"أين ذهبتِ؟

- إيه معاكي يا "عبير" آسفة سرحت.

- ولا يهمك تقدري تاخدي "محمد" خلاص المشكلة اتحلت.

- تمام مع السلامة.

أمسكت "إيناس"بيد "محمد" ورحلت به من المدرسة، وجدت طفلها شاردًا مثلها تمامًا، فحاولت إخراجه مما هو به فقالت له:

- "محمد"إيه رأيك نروح نقضي اليوم كله النهاردة في الملاهي؟ وهعزمك يا سيدي على أيس كريم كمان.

نظر لها طفلها نظرة حزينة فهي تعلم هذه النظرة جيدًا؛ إنها نظرة رفضه لطلبها، فأخذته وذهبت إلى مترلها.

***

- يالا يا"حنان" هنتأخر على الطيارة.

- خلاص يا "يوسف"أنا جايه أهو.

- بقالك ساعة يا "حنان" بتقولي إنك جاية والله هسيبك وأسافر.

جاءه صوت "حنان" وضحكاتها ووجدها تقف أمامه، وهي تقول له:

- متقدرش على فكرة!

- "حناااااان"

- خلاص أنا جاهزةأهو متزقش بس، بس مش كنا قلنا لحد على الأقل يستنونا في المطار علشان الشنط اللي معانا.

- كدة أحسن علشان نعملهم مفاجأة.

- ماشي اللي تشوفه ... بس عارف يا "حنان"اللي هتقوليه،ماتخافيش ربنا هيسترها معانا إن شاء الله، بس زي ما اتفقنا ماشي.

- ماشي اللي تشوفه.

- انزلي تحت بقا استنيني لحد ما أقفل الشقة وأنزل وراكي!

- "عبير" قومي يا بنتي إحنا بقينا المغرب!

- حاضر يا ماما قايمةأهو.

قامت "عبير" من فراشها بتكاسل وذهبت لوالدتها وقبلتها وقالت:

- صباح الخير يا ست الكل يا عسل يا سكر أنتِ هقوم أصلي وأجيلك هوا!!!.

دلفت "عبير"إلى غرفتها وأدت فريضتها وحمدت الله على نعمته، ثم ذهبت إلى فراشها وأمسكت بجهاز اللاب توب الخاص بها، لقد كان هذا آخر شيءأهداه لها والدها قبل وفاته، دخلت على حساب الفيس بوك الخاص بها،وأخذت تتصفح بعض الصفحات والمجموعات التي تعرف من خلالهم ما يجري حولها، تذكرت طالبها "محمد" وحالته التي تسوء يومًا عن يوم، فدخلت إلى مجموعة خاصة بالأطباء، وكتبت مشكلته وأغلقت جهازها، لتذهب إلى والدتها؛ فهما يعيشان سويًّا بمفردهما، فوالدها تُوفي منذ ما يقرب من ثلاث سنوات،وأخوها تركهما وسافر هو وزوجته لعمله، ومن يومها وهما الاثنين كل شيء لبعضهما، أفاقت من ذكراها على صوت جرس الباب، خرجت من غرفتها، لترى من الذي أتىإليهما في هذا الوقت.

"يوسف"! كان هذا صوت صراخ والدتها عندما فتحت باب الشقة لتجده يقف أمامها:

- إزيك يا أمي؟ وحشتيني أووووي!"عبير"إزيك عاملةإيه؟ وحشتوني أووووي!

- عامل إيه يا بني؟ وحشتنا! قطعت بينا من قبل ما أبوك يتوفى حتى محضرتش دفنته كده يا بني، وبعدين طمني عليك عامل إيه مالك خاسس كده أنت مبتاكلش كويس ولا إيه؟

- يا ماما سيبي الواد يدخل الأول من أولها كدة نازلة أسئلة، عامل إيه يا "يوسف" وحشتنا أووووي أُمّال فين مراتك يا بني؟

- عند أهلها وهتيجي بكرة بإذن الله.

- توصل بالسلامة.

- أنا تعبان وهموت وأنام.

- ادخل يا بني افرد ضهرك على ما نحضرلك الأكل.

في صباح اليوم الثاني كان هناك أمل جديد ينبعث مع ضوء الشمس الساطع، ففي منزل "إيناس" والدة "محمد" التي استيقظت نشيطة على غير العادة.

نظرة سريعة على ما حدث قبل ساعات:

- "محمد" ... "محمد" قوم بقى طب وقولي أنت عاوز إيه؟ وأنا أعملهولك، طب بص إيه رأيك نعمله سوا وأنت هتساعدني فيه يالا بقى.

قام "محمد" معها على مضض،ووقفت "عبير" لتحضر مكونات الكيك الذي يحبه "محمد"،ولكن وهي تجلب الدقيق من الرف العلوي انسكب عليها وكان شكلها مضحك للغاية، فأخذ "محمد" يضحك فضحكت معه "عبير"، وقامت بسكب بعض الدقيق عليه هو الآخر، فأصبح الاثنان بلون الدقيق،وأخذا يلعبان معًا،وكانت "عبير"مسرورة بهذه التغيرات التي طرأت على "محمد" ليلة أمس،فإنها لا تتذكر آخر مرة ضحك فيها طفلها بهذه

الطريقة، ولقد عزمت "عبير" على تغيير حياتها وإدخال السعادة عليها هي وطفلها.

نعود للواقع:

قامت "إيناس" من مكانها ودلفت إلى غرفة"محمد"،ووجدته ما زال نائمًا،إنه يوم الجمعة إجازة من المدرسة، تريد أن تقضي هذا اليوم من أوله مع طفلها ولكن أولًا ستتصل لتطمئن على"مصطفى"أخيها الأصغر، لقد نسيته تمامًا أمس، وجدت هاتفها يرن؛ فذهبت لترى من المتصل؟إنه هو "مصطفى":

- عارف أنا لو كنت جبت في سيرة ربع جنيه مكنش اتصل.
- علشان هو ربع جنيه وهيفضل طول عمره كدة إنما أنا "مصطفى" بشحمه ولحمه.
- هههههههههههههه ربنا يخليك لينا يا "مصطفى"!
- إنما خدي هنا صحيح مالك حلوة النهاردة كدة ليه؟

- هههههههههههههههههه أنا حلوة على طول يا أخويا أنت بس اللي نظرك ضعيف مين معايا!

- هههههههههههههههههه

- مش هتقوليلي بقا إيه اللي فرحك النهاردة أووووي كدة؟

حكت "عبير" ما حدث مع "محمد" ليلةأمس، وفرح "مصطفى" كثيرًا لهذا التغير، وقال:

- لها إن شاء الله يا "إيناس" هيفضل كدة وهيبقى أحسن وهتسمعي صوته تاني،أاااه ومتعقديش تفكري مع نفسك كتير أصلي عارفك بوومة وهتقلبيها نكد خليكي حلوة كدة، وليكي عليا أجي أخرجكم النهاردة وعلى حسابي كمان، مبعملهاش مع ناس كتير أنا دي، حضري الغدا لحد ما أصلي الجمعة وأجيلكم!

- ماشي يا "مصطفى" مستنياك يا حبيبي،

- حبيبي! بس بقى! علشان بتكسف!

- اقفل يالا!

- هههههههههههههه أهو كدة هي دي "إيناس"اللي أعرفها ده أنا كنت قربت أفتكر إنك انحرفتي خلاص.

- لا اطمن أختك لسة زي ماهي، اقفل يالا عطلتني هقوم أعمل الغدا.

- طيب متزقيش سلام.

أغلقت "إيناس" الخط مع "مصطفى" وهي تتمنى من الله أن تدوم فرحتهم.

أما في منزل "عبير":فقد استيقظت بنشاط هذا اليوم على غير العادة، فلقد عاد أخوها بعد طول انتظار، كم اشتاقت له ولحديثه معها أيضًا، ثم نظرت في ساعة الحائط فوجدتها مازالت السابعة صباحًا، مازال الوقت مبكرًا، فحاولت النوم مرةأخري مرارًا وتكرارًا ولكن بلا فائدة، قامت من مكانها واغتسلت وأدت فريضتها، وأخذت تلعب بيديها في شعرها البندقي الطويل الذي يصل إلى نهاية ظهرها، رجعت مرةأخرىإلى فراشها وأمسكت بجهاز (اللاب توب)، ودخلت على حسابها على الفيس بوك،

وبمجرد دخولها رأت إشعارات كثيرة؛ بسبب المنشور الذي أنزلته في الجروب الخاص بالأطباء، لقد نسيت أمره تمامًا، فدخلت لتقرأ التعليقات وكم كانت فرحتها عندما وجدت اهتمامًا من الغالب،أخذت تقرأ التعليقات ووجدت بها دعاء من البعض بالشفاء، والبعض الآخر يحاول المساعدة،أكثر ما لفت نظرها هذا التعليق:

(أنا أعرف دكتور كويس اسمه "٠٠٠" ولو عايزة عنوانه ممكن أبعتهولك، أنا أخويا كان حالته نفس الحالة دي، والحمد لله الدكتور ده كويس وربنا جعل الشفا على إيده، وإن شاء الله ترجع الفرحة تدخل بيتكم من تاني).

ردت على هذا التعليق سريعًا وكتبت أرجوك أريد العنوان ورقم (التليفون)، جاءها الرد أسرع مما توقعت، كتبتهم سريعًا وكتبت شكرًا لهذا الشخص، وأغلقت حاسوبها وهي تتمنى من الله أن يجعل شفاء "محمد" على يد هذا الدكتور، سمعت طرقات على باب غرفتها؛ هذا الطَرْق الذي طالما اشتاقت إليه، فقامت وفتحت الباب سريعًا وارتمت فيأحضانه قائلة:

- عارف أنا كنت زعلانة منك بس لما شفتك نسيت كل الزعل، وحشتني أووي يا "يوسف" كل دي فترة غياب عننا، دي ماما كانت هتموت علشانك.

ربط "يوسف" عليها بحنان، وقال مازحًا:

- طب نقعد طيب بس رجلي وجعتني، وبعدين إيه جو العشق الممنوع ده؟ يابت اتقلي شويه كدة!

مطَّت "عبير" شفتيها مثل الأطفال، وقالت له:

- تصدق إنك رخم.

ضحك على طفولتها التي اشتاق لها،وقال:

- طب تعالي بس احكيلي إيه اللي حصل في غيابي وبالتفصيل؟ أنتِ عرفاني رغاااي أوووي.

- هههههههههه اتريق اتريق يابني الكلام ده نعمة من عند ربنا، وبعدين أنا أخاف أسكت لساني يقف ولّا أتعب ولّا حاجة، وبعدين استنى نستني صحيح أتصل على"إيناس".

رفع حاجبيه في دهشة قائلًا:

- "إيناس" مين؟

- استنى أما أحكيلك!

- لا لا خلاص مش عاوز كلمي "إيناس" براحتك، وأنا قاعد مستنيكي أهو.

- هههههههههه أيوه كدة ناس مبتجيش غير بالعين البنفسجي.

- هههههههههه بس عنيكي عسلي يا لمضة.

- اسكت بقا البت هترد تقول إيه عيال بيلعبوا.

***

- "إيناس" عاملةإيه؟

- إيه اللي أنا سمعته ده هههههههههههه ده أنتِ طلعتِ لمضة بجد.

- هههههههههههه معلش خليها عليكي بقى،أخويا رجع بقى من السفر وكدة.

- حمدًالله على السلامة ربنا يخليكم لبعض!

- ربنا يخليكي المهم طمنيني عليكي أنتِ و"محمد"؟

- الحمد لله إحنا بخير.

- يارب دايمًا يا ستي، بصي بقى أنا امبارح كنت فتحة الفيس، وكتبت مشكلة"محمد" على الجروب ده، والحمد لله لقيت ناس دلوني على دكتور كويس، وكمان واحد قال إن أخوه كان عنده نفس المشكلة، والحمد لله دلوقتي خف وبقى أحسن بكتير.

- بجد والله؟

- طب اديني اسم الدكتور وأنا هخلي "مصطفى" يسأل عليه، وبإذن الله نروح، ربنا يجعل الشفا علىإيده.

- إن شاء الله يا حبيبتي، يالا أسيبك أنا وهبعتلك الاسم والعنوان في رسالة بإذن الله.

- تمام وأنا مستنية.

- إيه يا حبيبتي ما كنتي تخليكي كمان شوية.

- هههههه بقا كدة يعني.

- هههه لا خلاص، بس إيه مشكلته "محمد"؟

حكت له "عبير" عن "محمد" ومشكلته.

- طب وهما ليه سايبينه لحد كدة؟

- لا هم مش بخلو عليه بحاجة،هما لفوا على دكاترة كتير بس للأسف.

- لا حول ولا قوةإلا بالله، ربنا يصبرهم يارب!

- ياااااارب، احكيلي عنك أنت بقى وعن "حنان"، وحياتكم وكل حاجة.

قطع حديثهما صوت والدتهما تنادي عليهما؛ لقد وصلت حنان"، وبعد العناق والسلامات جلسوا يتسامرون.

***

إنه بالتأكيد أفضل يوم في حياتها، فبالأمس تجاوب "محمد" معها بشكل مفرح للغاية، واليوم اسم الدكتور الذي قالت "عبير" عنه، وخبر أنه يوجد مثل طفلها وتم شفائهم، ياالله كم هو مفرح شعور الفرحة بداخلنا والنابع من صميم قلوبنا!

إنه آذان الظهر، ذهبت "إيناس" لتوقظ طفلها "محمد":

- قم يا حبيبي يالّا!

ولكنه لا يجيب وضعت يدها على رأسه:

- يالهويده سخن أوي!

ذهبت وأحضرت مياه مثلجة وأخذت تصنع له كمادات، ولكن بلا فائدة وما زالت درجة حرارته مرتفعة، حاولت الاتصال على مصطفى كثيرًا،

ولكن تليفونه مغلق، بالتأكيد هو في الصلاة،فارتدت ملابسها وحملت طفلها وذهبت به إلى المستشفى، أخذته منها الدكتورة وأدخلته في غرفة الكشف، وبعد فترة من الكشف:

- ابن حضرتك عنده حمة شديدة، فلازم يفضل معانا هنا لحد ما نطمن عليه.

وفعلا أدخلوه غرفة خاصة به، ووضعوا في يده بعض المحاليل، وجلست "إيناس" بجانبه تبكي على طفلها، رن تليفونها ووجدت "مصطفى" هو المتصل:

- إيه يا بنتي أنا واقف قدام الباب بقالي ساعة ومحدش بيرد.

- "مصطفى"أنا في المستشفى.

- مستشفى! مسافة السكة وهكون عندك، ماله محمد؟ إيه اللي حصل؟

ردت "إيناس" بصوت مخنوق يملؤه البكاء:

- رحت أصحيه لقيته سخن جامد ومش راضي يرد عليا، عملتله كمادات وبرضه مفيش فايدة، فجيت وجبته هنا.

- متخافيش يا حبيبتي خير إن شاء الله، بس الدكتورة قالتلك إيه؟

- قالت:إنها حمة شديدة،أنا خايفة يسبني يا "مصطفى" زي ما أبوه سابني، وانفجرت في نوبة بكاء.

- متخافيش يا حبيبتي أنا معاكي، و"محمد" مش هيسبنا انسي بقا اللي حصل زمان،إن شاء الله خير.

***

نظرة على ما حدث قبل ذلك

- "حسام" متسبنيش ابننا هيخف إن شاء الله، وهيكون كويس الدكتور قال كدة.

– كفاية يا "إيناس" الكلام ده أنا بسمعه منك كل يوم، وبرضه مفيش فايدة والعمر بيجري، وأنا عايز أخلف وأشوف ولادي طبيعين، وده مش هيحصل معاكي،أنا هتجوز يا "إيناس"،أنتِ طالق.

***

عودة للواقع

– "إيناس" مش تقلقي إن شاء الله هيخف، وهيبقى أحسن من الأول.

– يااااااارب يا "مصطفى" يارب!

– طب أنا هقوم أطمن من الدكتورة، واشتري حاجات وأجيلك على طول.....

***

في مترل عبير كانت الفرحة تعم أجواء المترل بعودة"يوسف" و"حنان"إلى مترلهم، ولكن "عبير" شعرت بأن "يوسف" به شيء، فهو بالرغم من المدة

التي قضاها بعيداً عنهم،إلا إنها مازالت تعرفه جيداً، فدخلت "حنان" إلى غرفتها وانتظرت بعض الوقت، ثم نادت عليه

- "يوسف" يا "يوسف".

- إيه يا بنتي أنتِ بتنادي على واحد واقف على أول الشارع.

- تعالَ ادخل عايزاك.

- خير يا "عبير" في حاجة.

- "يوسف" فيك إيه؟

- فيا إيه؟ منا زي الفل أهو يا بنتي، هيكون فيا إيه يعني!!

- "يوسف" متهزرش، أنا عرفاك كويس من ساعة ما "حنان" رجعت من بيت أهلها، ووالدها اتصل بيك وأنت مش كويس، في إيه مالك؟ احكيلي يمكن أقدر أساعدك!

- أقولك إيه بس، طبعًا أنتِ عارفة إن أنا و"حنان" متجوزين بقالنا أكتر من خمس سنين، ولحد دلوقتي مخلفناش، ودة مسبب مشاكل كتير، وطبعا

أنتِ فاكرةآخر مشكلة مع بابا، ونفس المشاكل بتقابلها "حنان" وأهلها عايزين يطلقوها مني؛ عشان تتجوز واحد وتخلف.

- هو مش أنتم كشفتم والحمد لله مطلعش عندكم أي حاجة.

- أيوة الحمد لله، واللي محدش يعرفه وفضلنا أنا و"حنان" مخبيينه عليكم الفترةاللي فاتت؛ إن "حنان" فعلًا كانت حامل وأكتر من مرة، بس للأسف الحمل مش بيثبت وبيتزل، إحنا شفنا أيام ما يعلم بيها إلا ربنا، ومرضناش نقول لحد منكم علشان مش نعملكم قلق ولا نشيلكم همنا، ورحنا لدكاترة كتير وبرضو مفيش فايدة، محدش عارف السبب في نزول البيبي، يعني محكوم علينا نفضل كدة وراضيين، ليه عايزين يفرقونا؟ أنا مقدرش أتصور حياتي في يوم من غيرها.

وأخذ يبكي بشدة، ولا تعلم "عبير" ما تقوله، فظلت تربط عليه حتى هدأ تمامًا، وأخذت تقرأ عليه بعضًا من آيات القران الكريم لعله يهدأ، ثم دفعته مرة واحدة وصفقت بيدها، وقالت وجدتها! ... وجدتها!

ضحك أخوها بشدة على تصرفها، وقال وهو ينظر لها:

- هي إيه دي اللي وجدتيها يا هبلة !!

نظرت له بعبوس ثم أردفت قائلة:

- فاكر "إيناس" مامت "محمد"اللي كنت بكلمها الصبح قدامك دي،

- أه مالها؟

- أفتكر إنها قالت ليا قبل كدةإن أخوها دكتور نسا، ومعاه شهادات عالمية وشاطر وكدة، إيه رأيك أسألها وتروحوا ليه؟ يمكن ربنا يجعل الشفا على إيده.

- "عبير"أنا مش رايح لدكاترة،أنا تعبت لف وكله بنفس الكلام مفيش حل.

- "يوسف" أنت المفروض تحمد ربنا إنك مثلًا مخلفتش عيل معاق تفضل تلف بيه على الدكاترة، مش يمكن ده خير من ربنا ليك

أنت مشكلتك مش واحد في المية من مشكلة "إيناس".

نظر لها "يوسف" بعدم فهم، فأكملت "إيناس":

- بباها ومامتها متوفين وهما صغرين، وأخوها كان بيدرس وبيشتغل مع إنه الصغير علشان يوفر ليهم فلوس، ولما كبرت وقالت إن الحياة هتبقى حلوة معاهم اتجوزت واحد المفروض بتحبه، بس ياخسارة الحلو مبيكملش، لما خلفت "محمد" وعرف إنه معاق رماها وسبها وراح اتجوز غيرها عشان يخلف، ولغى وجودها أصلًا، ومع ذلك راضية وبتحمد ربنا كل يوم ومفقدش الأمل في شفاء ابنها وبتجري ورا أي أمل، وأنت قاعد هنا وحاطط إيدك على خدك وعمال تعيط وفقدت الأمل.

في هذا الوقت فُتح باب الغرفة، ودلفت حنان والدموع تملأ عينيها، فلقد سمعت "حنان" كل كلام "عبير" وقالت"عبير":

- عندها حق يا "يوسف"، لازم نجري ورا الأمل، وربنا عارف إننا معملناش حاجة وحشة لحد، وإذا كان علىأهلي فهما هيسكتوا زي كل

مرة، وأنا مش هسيبك،إحنا تعبنا في حياتنا جامد وربنا عارف، فأكيد ربنا هيراضينا.

- احم احم نحن هنا، خد مراتك يا حبيبي وحبوا في بعض فيأوضتكم.

- هههههههههههههه بس يا بت.

- "عبير" اتصلي بيها، وخليها تحدد لينا معاد مع أخوها، وإحنا هنروح بإذن الله.

- صحيا "يوسف".

- ماشي يا "حنان.

أخذت "عبير" هاتفها بفرحة، ثم اتصلت على "إيناس"،ولكن وجدت الهاتف مغلقًا،فحاولت أكثر من مرة، ولكن يبقى الوضع كما هو عليه،

- طب خلاص يا "حنان" ابقي كلميها ف وقت تاني.

- تعالوا بقى أنا جبت شريط لفلم أجنبي لسة نازل جديد، تعالوا نطلع نتفرج عليه.

- اشطا يالّا.

في هذا الوقت كانت "عبير" جالسة هي و"مصطفى" في الغرفة يتسامرون، لقد تحسنت حالة"عبير" عند رؤيتها لابنها وهو يفيق ويتحدث معها، فأصبح قلقها أخف كثيرًا، ووجود "مصطفى" معها كان يشعرها بالراحة والسلام الداخلي،وأما عن"مصطفى" فهو يشعر أنها ابنته ومسئولة منه هي وطفلها،فلقد وهب نفسه منذ فراق والديه لخدمتها والسهر على راحتها، وهي كانت تفعل معه المثل،فكم هو جميل شعور المسئولية والحب من الداخل.

قطع ذكرياتهما دخول الممرضة التي تخبرهم بأن موعد الزيارة قد انتهى، ولكن حينما وقع نظرها على"مصطفى":

- دكتور "مصطفى"! أنا آسفة والله مكنتش أعرف إنهم تبعك.

- ولا يهمك، وبعدين أنتِ معملتيش حاجة غلط، دي قوانين ولازم تُطبق على الكل، وإحنا مش هنخالف القوانين،"إيناس" هي المرافق وأنا دكتور هنا ونبطشي النهاردة، وهقوم أروح على شغلي.

ابتسمت الممرضة"لمصطفى"، فهو من أكثر الدكاترة كفئًا في عمله، وأيضًا من أكثر الناس المحبوبين.

- "إيناس" أنا هقوم أروح الشغل،وأنا جمبك هنا في المستشفى أي حاجة عايزاها اتصلي بيا، والممرضين حواليكِ في كل مكان أي حاجة اطلبيها منهم.

قاطعه صوت الممرضة"فاطمة"، وهي تقول:

- متقلقش يا دكتور أنا هجيلها كل شوية أبص عليها لو محتاجة حاجة.

- تمام شكرا يا "فاطمة"

استأذنت "فاطمة" وانصرفت، وتبعها "مصطفى"، وترك "إيناس" مع طفلها، فكرت "إيناس"في فعل أي شيء يلهيها، ففتحت حسابها الخاص

على الفيس بوك، ولكنها لسوء حظها وجدت هاتفها قد فصل شحنًا، فوضعته على الشحن، وقررت الذهاب إلى الكافتريا لاحتساء بعض القهوة، فتأكدت من نوم طفلها،ثم اتجهت بعد خروجها للمصعد وانتظرت قدومه، ثم استقلته ونزلت إلى الطابق الأرضي الذي به الكافتريا، ولكن عند دخولها الكافتريا اصطدمت بشخص فهمهت قائلة:

- أنا آسفة.

وعند مغادرتها سمعت صوتًا يقول:

- "إيناس"!

إنها تعرف هذا الصوت، نعم تعرفه التفتت لترى من هذا؟

- "ياسين"!

("ياسين" صاحب العيون الزرقاء الواسعة،هو صديق طليقها، ولكنه كان يسأل عليهم من وقت لآخر هو وزوجته "ميرفت").

- أيوة يا "إيناس" عاملة إيه؟ و"محمد" عامل إيه؟

- الحمد لله إحنا بخير،أنت عامل إيه؟

- الحمد لله، بس أنتِ بتعملي إيه هنا؟

- مفيش "محمد" تعب شوية وموجود هنا تحت الملاحظة لحد ما يطمنوا عليه.

- لا حول ولا قوةإلا بالله،إن شاء الله هيخف ويقوم بالسلامة وربنا هيطمنكم عليه.

- يااااارب!

- أسيبك أنا بقى عشان أرجع "لمحمد" الأوضة؛ لحسن يصحى ومش يلاقيني جمبه ويتخض.

- كنت عايز أطلب منك حاجة بس خايف ترفضي.

- ليه؟ اتفضل لو حاجة أقدر أعملها أكيد مش هتاخر.

- طب تعالي نقعد بس وهقولك.

ذهبوا إلى طرابيزة خاوية.

- اتفضل يا "ياسين"أنا سمعاك.

- "إيناس""حسام" عايز يشوف ابنه.

- ابنه! هو لسة فاكر إن ليه ابن! كان فين ابنه لما سابه وهو لسة صغير؟! يعرف إيه عن ابنه علشان يشوفه؟!

- "إيناس" مهما كان هو أب،أرجوكِ هي مرة واحدة بس.

- "ياسين"أنا آسفة،أنا لازم أطلع "لمحمد" عشان كدةأنا اتأخرت عليه.

لم تترك له فرصة للرد وتركته وذهبت، فزفر "ياسين" ثم نهض من مكانه وهو عازم على التصرف وفعل أي شيء؛ حتى يحقق لصديقه "حسام"أمنيته برؤية ابنه.

ذهبت "إيناس" لغرفة طفلها، ووجدت أخاها بالداخل.

- كنتِ فين يا "إيناس" جيت مش لاقيتك؟

- كنت بجيب حاجة من الكافتريا.

- "إيناس" مالك أنتِ شكلك معيطة؟!

- لا

ذهب لها وأمسك يدها وأجلسها بجواره:

- "إيناس"أنا عارفك كويس، قوليلي مالك.

ارتمت في أحضانه وأخذت تبكي بشدة، فربط على رأسها وهو يحاول أن يجعلها تهدأ:

- اهدي بس كده، وقوليلي مالك؟

مسحت دموعها، ثم قصت عليه ما حدث منذ نزولها للكافتريا، ثم قالت له:

- هو عايز مننا إيه تاني؟إيه اللي رجعه بعد ما كنت خلاص بنساه؟ ليه رجع؟ مش ده ابنه اللي مش عاجبه؟ جاي وعايزه ليه دلوقتي؟!

- اهدي بس كدة وخلينا نتكلم بالعقل،"حسام"أيوه غلط، بس ده ميخلليناش نعلق ليه المشنقة، يعني "حسام"أب ومهما بِعِد أو اتجوز وخلف ووو ده ميمنعش إن "محمد" ابنه وليه حقوق عليه، فخلاص نخليه يشوفه

بإرادتنا،أحسن ما يشوفه غصب عننا، وبعدين هو مش هيأخده مثلًا ويسافر بيه، ده هيكون قدامنا واحنا قاعدين معاهم، ربنا يهديكي يا "إيناس".

رن تليفون "مصطفى" وقام بالرد، ثم أغلق هاتفه وهو ينظر "لإيناس" ويقول:

- أنا هسيبك دلوقتي،وفكري كويس يا "إيناس" ونامي واهدي كدة وردي عليا بكرة الصبح، وافتكري إنه ممكن لو مش شافه بمزاجنا، يشوفه غصب عننا، ثم تركها ورحل، فانفجرت "إيناس" في نوبة بكاء حار.

عندما خرج "مصطفى" من غرفة"إيناس" ذهب لغرفته ليرى"ياسين" الذي حادثه في الهاتف منذ قليل، وهو يقول:

- ياترىإيه اللي رجعك تاني يا "حسام"؟!

ذهب إلى غرفته، ووجد "ياسين" بانتظاره فرحب به، وجلس أمامه وهو يقول:

- إزيك يا "ياسين"،إيه يا بني بقالك فترة ناسينا خالص ولا بتسأل ولا أي حاجة؟!

- آسف والله يا "مصطفى" الظروف.

- ربنا يعينك يارب!

وسادت فترة من الصمت، ثم قال"لياسين":

- يخرب بيتك نستني تشرب إيه؟

- ولا حاجة أنا كنت جايلك في موضوع كدة، وماشي على طول.

- نشرب حاجة الأول وبعد كده نتكلم، ها تشرب إيه؟

- شاي

نادى على الممرضة، وقال:

- لها اتنين شاي

- إنما صح يا "ياسين"أنت مش قلتلي أنت بتعمل إيه هنا في الوقت دة؟ احنا داخلين على نص الليل.

- هحكيلك،أكيد "إيناس" قالتلك إنها شافتني، والكلام اللي اتقال بينا،أنا والله جاي أطمنك إنه مش عايز يعمل مشاكل لحد منكم نهائي، هو بس عايز يشوف ابنه خمس دقايق بس، وهيمشي على طول،أرجوك مترفضش واقنع "إيناس" توافق!

- أيوة بس أنت عارف إن "إيناس" جرحها مش سهل، ودة هيصعَّب الأمر شوية، بس عمومًا اطمن هو أبوه وليه الحق إنه يشوفه، اديني بس يومين تكون "إيناس" و"محمد"أحسن وهبلغك بالمعاد.

- تمام،أنا متشكر أوي يا "مصطفى" مش عارف أقولك إيه؟أنت بجد هترجعله روحه ليه من تاني.

تركه "ياسين" وغادر، والفرحة بادية على وجهه،فتعجب "مصطفى" من فرحة"ياسين"؛ فالأمر لا يستدعي لكل هذا،فلم يأخذ أكثر من بضعة دقائق، وأما "ياسين" فعندما خرج من غرفة"مصطفى" اتصل على صديقه وقال له:

- اطمن.. اطمن خلاص هتشوف ابنك،إيه مين معايا؟ مش ده تليفون حسام! إيه! طب أنا جاي حالًا.

مرت عدة أيام والفرحة تعم في أجواء منازلنا، ففي منزل "عبير" الفرحة بادية على وجوههم وخاصة"حنان" و"يوسف" فلقد حددوا معادًا مع مصطفى لرؤيتهم يوم الخميس القادم، أي بعد أربعة أيام من اليوم،ولم تعرف "عبير"أن وجود الأمل يعطي هذه الكمية من الفرحة! وأكثر من فرحة الأمل فرحة وجودهم سويًا، فعندما تضعف "حنان" يقويها "يوسف" وعندما ييأس "يوسف" تبعث له "حنان" الأمل، فهل يوجد ماهو أجمل من شعور الحب؟ أما "عبير" فدائمًا كانت متفوقة في عملها، وكانت على اتصال دائم "بإيناس" التي بدأ التغير يظهر على ملامحها بتحسن طفلها وحبيب قلبها "محمد"، فلقد كانت سعيدة بشفاء ابنها من الحُمَّة والتقدم الملحوظ في صحته، و"مصطفى" يراعيهم كما هو دائمًا، ولكن فرحته كانت تزاد دومًا برؤية السعادة على وجه "إيناس"، فلكم اشتاق إلى

ضحكتها الصافية، فلقد بدأ"محمد" يتجاوب معهم، خاصة بعدما عرضوه على طبيب متخصص أتى من الخارج وكان صديقًا"لمصطفى" وحددوا معه موعدًا وذهبوا إليه "بمحمد".

نظرة على ما حدث قبل ذلك

- "أمل"! أنتِ لسة عايشة يا بنتي
- دكتور "آسر" عامل إيه؟
- الحمد لله أنا تمام وزى الفل أهو، بس قوليلي "مصطفى" موجود؟
- اه موجود بس عنده حالة هيخلص وهبلغه إن حضرتك موجود
- طب بقى ممكن كوباية شاي مظبوطة من إيدك
- بس كدة حاضر يا دكتور، ثواني والشاي هيكون عند حضرتك

قامت "أمل" لتحضير الشاي، وخرجت الحالة من عند "مصطفى" وضرب "مصطفى" الجرس ليستدعي "أمل"،فجاءت "أمل" لتدخل "لمصطفى"، ولكن أوقفها "آسر" ثم أدخل رأسه من الباب، وقال:

- ينفع أنا بدل أمل؟

رفع "مصطفى" وجهه من على الأوراق، ثم هب واقفًا وجرى نحو "آسر""فآسر" هو صديق "مصطفى" المقرب، وهو شخص يتمتع بوسامة خاصة؛ فهو يتمتع بجسد مشدود، وعضلاته بارزة ولديه لحية سوداء جذابة

- إيه يا بني، رجعت امتي من السفر؟

- وصلت امبارح بليل، وأول حاجة عملتها إني جتلك

- طب ليه ما قلتش كنت جيت استنّيتك في المطار!

- عادي ياعم محبتش أتعبك، المرة الجاية هعرفك ولا تزعل

- هههههههههههه حمدا لله على السلامة طيب

دلفت "أمل" إلى الغرفة وهي تحمل أكواب الشاي، واحد "لمصطفى" والآخر "لآسر"

- قولي بقى عملت إيه في المؤتمر؟

- الحمد لله المؤتمر كان كويس جدًا، وتوصلنا فيه لنتائج كويسة، ودكتور جون أنت عارفه نازل مصر في خلال أيام بإذن الله.

- بجد والله؟

- اه والله وطالبك بالاسم تكون معاه هنا وادايق لما أنت مجتش، بس أنا عرفته ظروفك وكدة، المهم أنت عامل إيه؟ وحشتني الفترةاللي فاتت احكيلي كل اللي حصل في غيابي.

قص عليه "مصطفى" كل ما حدث، وظروف "محمد" التي لاتشعرهم بالراحة الكافية رغم تحسنه عن ذي قبل، ولكن ما أدخل السرور والفرح عليه هو قول صديقه بالمفاجأة التي جاء له بها؛ بأنه عرض حالة محمد على كثير من الأطباء وطمأنه دكتور جون بأن الأمر غير معقد، وإنه سوف يزول قريبًا بإذن الله، وبأن دكتور جون قد توصل لطرق علاج جديدة في هذا الأمر، ففرح كثيًرا وأخبر "إيناس" بهذا الأمر، وفعلًا عند وصول الدكتور جون للقاهرة بدأت دورة العلاج مع "محمد" ولقد أظهرت تقدمًا

ليس كثيرًا، ولكنه أفضل من ذي قبل، فلقد أصبح لسان "محمد"أقل ثقلًا، وأصبح يستطيع نطق بعض الكلمات بمجهود لكنه ليس مثل ذي قبل، ولكن التقدم ملحوظ بصحته،ولكن هناك مكان آخر لم يكن يعرف للفرح عنوانًا؛ فها هو "ياسين" يقف أمام غرفة العناية المركزة يبكي بشدة على صديقه الذي تمكن المرض من جسمه، وتقف بجواره زوجته محاولة التخفيف عنه:

- متقلقش يا "ياسين" متقلقش إن شاء الله هيكون بخير وهيقوم بالسلامة، ادعيله أنت بس.

- مقلقش إزاي بس، وأمنيته الوحيدة إنه يشوف ابنه قبل ما يموت مش عارف أعملها له، هيموت من غير ما يشوف ابنه وهو في نظر الناس و"إيناس" ظالم،ولكنه هيعيش مظلوم ويموت مظلوم.

- طب ما تقول "لإيناس" الحقيقة،أكيد ساعتها الوضع هيتغير

- خلاني أوعده إنها متعرفش حاجة، مش عايز يتعبها معاه،إنما لا خلاص لازم تعرف حتى لو زعل مني، وتركها وذهب.

جرت زوجته ورائه وهي تقول له:

- "ياسين"أنت رايح فين ؟

- رايح أجيب له ابنه يشوفه كفايه الوقت ده كله وهو محروم منه.

- استهدي بالله بس لازم الأول تشوف هتعرَّف "إيناس"إزاي عشان هي كمان متتعبش، ومتنساش كمان إنها شافت كتير فلازم تجبهلها بالراحة.

جلس على الأرض بجوارها، ودموعه تنهمر منه في صمت، فأخذت تربط على كتفه وتحاول مواساته والتخفيف عنه، وظلت تدعو الله من قلبها أن يريح قلبه وقلب صديقه.

***

تقلبت "عبير" في فراشها قبل أن تستيقظ لتبدأ يوم جديد في عملها،فقامت من فراشها وذهبت إلى الحمام لتتوضأ، وعند خروجها من

غرفتها شاهدت "حنان" جالسة في الصالة تبكي بصمت، فذهبت إليها مسرعة وعندما أحست "حنان" بقدومها قامت بمسح دموعها سريعًا؛ حتى لا تلاحظها "عبير" ورسمت ابتسامة مصطنعة على شفتيها، ونظرت في اتجاه "عبير" وقالت لها:

- صباح الخير

نظرت لها "عبير" نظرة شك وقالت وهي تنظر في عينيها:

- صباح النور "حنان" أنتِ كنتِ بتعيطي؟

- لا أبدًا روحي اتوضي على ما أجهزلك الفطار، عشان مش تتأخري على شغلك.

- أنا هروح أتوضي وأصلي وأجيلك وهعرف مالك.

- طيب بس روحي صلي.

شردت "حنان" قليلًا، ثم قامت من مكانها لتنهي ما ورائها، وانتهت "عبير" من صلاتها، ووجدت أن "حنان"أعدت لها فطورها، ولكنها غير موجودة

فعلمت "عبير" أن "حنان" تحاول التهرب منها لأمر ما، ولكنها عزمت على معرفته، فوقفت "عبير"أمام غرفة"حنان" وطرقت بابها، ففتحت "حنان" الباب:

- "حنان" تعالِ لو سمحت عايزاكِ.

- حاضر.

جلس الاثنان بغرفة "عبير" وبدأت "عبير" بالكلام وقالت لها:

- "حنان" مالك؟ أنا حاسة بيكي بقالك كام يوم مش مظبوطة، فيكي إيه؟ أنتِ خايفة من موضوع الدكتور؟

كانت"حنان" في حاجة لأن تسألها "عبير" فانفجرت باكية،فلم تستوعب "عبير" ما يحدث، ولكنها كانت خائفة على"حنان":

- "حنان" اهدي وقوليلي مالك بس.

- "عبير" أنا حامل وفي شهر ونص.

- بجد حامل! مبرووك يا حبيبتي وربنا يكملك على خير.

- أنا خايفة يا "عبير" الحمل يترل تاني أنا تعبت.

- متقلقيش إن شاء الله خير، وبعدين هو مش أنتم رايحين للدكتور بكرة إن شاء الله، ربنا هيطمنكم بس هو "يوسف" عرف ولا لسة

- لا مش قلتله خايفة يتعلق بأمل، وبعد كدة مفيش حاجة تحصل.

- لا يا حبيبتي إن شاء الله خير.

سمعوا صوت "يوسف" ينادي على زوجته فخرجت "حنان" لترى زوجها وقامت "عبير" إلى عملها، ولكن ظل ذهنها شاردًا، فهي خائفة على أخيها وزوجته، فظلت تدعو الله لهم وحينما دلفت "عبير" إلى المدرسة رأت "إيناس"، فذهبت لها وفرحت "عبير" كثيرًا برؤية حالة "محمد" والتحسن البادي عليه، لكن "إيناس" لم يخفَ عليها أن "عبير" بها أمر ما:

- "عبير" مالك؟

- مفيش بس أنتِ عارفه حالة "حنان" و"يوسف" بسبب الحمل وكدة، والبيت كله متوتر.

- متقلقيش يا حبيبتي إن شاء الله خير، بقولك يا "عبير" ما تيجي معايا النهاردة البيت عندي، "مصطفى" جاي يتغدى معانا، وبالمرة تسأليه عن حالة أخوكي ومراته، وتطمنيهم لحد معاد الكشف بتاعهم.

وافقت "عبير" على هذا الاقتراح سريعًا، فهي أيضًا قلقة على أخيها وزوجته، وبعد انتهاء اليوم الدراسي أخذت "عبير" "محمد" وذهبت به إلى منزله، وطوال الطريق لم تكف "عبير" عن مداعبته، وحاولت حثُّه على الكلام، فقد كانت تريد أن تستمع إلى كل حرف ينطقه.

وصلا إلى منزل "إيناس"، فاستقبلت "إيناس" "عبير" بوجه ممتلئ بالسعادة كعادتها، وجلسوا يتحدثون سويًا إلى أن وصل "مصطفى" وتفاجأ بوجود "عبير" التي لم يرها سوى مرة أو مرتين ولم يلتفت لها، ولكن هذه المرة كانت غير، إنها جميلة حقًّا تتميز بهدوء ملامحها والطيبة البادية على وجهها، يميزها شعرها البني الذي يصل إلى منتصف ظهرها، وأهم ما يميزها هذه

النظارة التي تزيدها وسامة فوق وسامتها، قطع شروده صوت "إيناس" وهي تناديه:

- "مصطفى" أنت واقف عندك ليه؟ دي عبير اللي كلمتك عن أخوها ومراته وأخدوا منك معاد يوم الخميس.

- أيوه عارفها طبعًا، إزيك يا آنسة "عبير"

- الحمد لله.

- طب بعد إذنكم ثواني.

أخذت "إيناس" "محمد" معها، ودلفت به إلى غرفته لكي تجعله ينام قليلًا، وفي الخارج كانت "عبير" متوترة للغاية، وقد لاحظ "مصطفى" توترها، فحاول أن يزيله عنها، وقال لها:

- أنتِ شغالة في مدرسة محمد صح؟

- أيوة أنا مدرسة الإنجليزي بتاعته.

- ده أنا بحب الإنجليزي أوي حتى عشان كده ربنا رزقني به.

- ابتسمت "عبير" لكلامه.

ثم قالت:

- دكتور "مصطفى" أنا كنت عايزة أسأل حضرتك على حاجة بخصوص أخويا "يوسف" ومراته.

- اه اتفضلي

قصت عليه "عبير" كل شيء عن حمل "حنان" وإجهاضها، وإنها حامل الآن، وخائفة من الإجهاض مرة أخرى، كانت "عبير" تتحدث مع "مصطفى" بسرعة شديدة، وكانت تقريبًا تقول مائة كلمة في الثانية، وأيضًا توترها الذي لم يختفِ.

انتهت "عبير" من حديثها، ولكنها أيضًا كانت تشعر بالضيق من "مصطفى" فهو كان يبتسم، ولم تعرف على أي شيء يضحك؟

عندما هم "مصطفى" بالتحدث، قاطعه دخول "إيناس" التي أخبرهم بأن الطعام جاهز، فذهبوا لتناول الطعام، ولكن "إيناس" لاحظت أيضًا شروده

بعد تناولهم الغداء،فأحضرت "إيناس" الحلوى ،وجلسوا سويًّا فبدأ "مصطفى" بالحديث:

- "عبير" بصي بالنسبة لموضوع أخوكي ومراته فالأمر سهل جدًا، هو العلم تتطور، والرحم هنا بيطرد أي جسم غريب جواه، وكان قبل كدة مفيش حل غير الراحة والنوم على الظهر وكدة، بس غالبًا مكنش بينفع برضه، دلوقتي في حاجة اسمها عملية ربط.

شهقت "عبير" وقالت:

- عملية!!

ابتسم "مصطفى" لها ابتسامة مطمئنة، وأكمل حديثه قائلًا:

- متخافيش هي عملية بنعملها عشان نمسك بيها الرحم لما بيحصل الحمل عشان نمنعه من طرد الجنين برة الرحم، وأول ما بتدخل الست في الشهر التاسع بنحرر الرحم؛ لأن خلاص إحنا بنكون عايزين الرحم يطرد الطفل برة عشان يتزل وينور لينا الدنيا.

- طب، والعملية دي بيكون فيها خطر؟!

- نهائي الأمر كله بسيط، اطمني وإن شاء الله أنا منتظركم بكرة عندي في العيادة، وزى ما أنتِ قلتِ إن مرات أخوكي حامل، فلازم أتفق معاهم على الأمر وأفهمهم حاجات، وطبعًا لازم الراحة الدائمة ليها.

ارتسمت ابتسامة على وجه "عبير" مع كل كلمة قالها "مصطفى" وأغرم "مصطفى" بهذه الابتسامة، فاحْمرَّ وجه "عبير" من نظرات "مصطفى"

ولكن "إيناس" خففت الموقف قائلة:

- الحمدلله، أهو يا "عبير" مفيش داعي للقلق بقى لازم تطمني ولا إيه يا "مصطفى"؟

- إيه! أه طبعًا.

- الحمد لله أنا مش عارفة أشكرك إزاي بجد.

- مفيش حاجة ده شغلي.

بعد مرور فترة من الوقت استأذنت "عبير" في الانصراف، وعلى وجهها ملامح السعادة بادية، وفضَّلت ركوب تاكسي عن ركوب المواصلات العامة؛ حتى تصل إلى منزلها أسرع حتى تخبرهم بهذا الأمر السعيد الذي سيقلب حياتهم رأسًا على عقب.

بعد ذهاب "عبير" من منزل "إيناس" طلب "مصطفى" من "عبير" أن يتحدث إليها قليلًا:

- خير يا "مصطفى" أنا حاسة إنك مش كويس، وفيك حاجة متغيرة، مالك؟

- "إيناس" فكرتي في اللي "ياسين" كان طلبه منك؟

- أيوه بس أنت عارف ردي.

- بس ده أبوه يا "إيناس"!

- "مصطفى" أنا هشرب شاي أعملك معايا، وقالت ذلك وهي تقوم من مكانها.

- "إيناس" "حسام" عنده سرطان.

لم ترد "إيناس"،فهي لم تستوعب ما قاله "مصطفى" من الأساس.

قام "مصطفى" من مكانه وأخذ "إيناس" من يديها وأجلسها بجواره، وهو يكمل كلامه ويقول:

- "ياسين" جالي النهاردة العيادة.

***

نظرة لما حدث

"أمل" دخلي اللي عليه الدور، مفيش حد برة حاليًا، بس في واحد برة اسمه "ياسين" وطالب يقابل حضرتك

- واحد !مقالش عايز إيه؟!!

- لا بس قال إن اسمه "ياسين".

- طب تمام خليه يتفضل

دخل "ياسين" مكتب "مصطفى"،فتعجب "مصطفى" من حاله، فهو في حالة يُرثى لها من التعب، فهو واضح عليه، استقبله "مصطفى" وطلب له كوبًا من القهوة.

- "مصطفى" "إيناس" قالت إيه في موضوع إن "حسام" يشوف ابنه؟

- معلش يا "ياسين" بس ممكن تخليه يصبر شوية، أنت عارف اللي "إيناس" مرت بيه مكنش سهل، هي بس محتاجة شوية وقت.

- بص يا "مصطفى" أنا مقدر رد فعل "إيناس" بس في حاجة آن الآوان إنكم تعرفوها.

- خير يا "ياسين"؟

- من بعد ما "حسام" اتجوز "إيناس" بسنة ونص تقريبًا تعب جامد واتنقل المستشفى، وأنتم طبعًا عارفين وهو في المستشفى الدكتور كان بيعمله تحليل دم، وللأسف لقى إنه عنده سرطان بس كان لسة في الأول "حسام" طلب من الدكتور إن محدش يعرف نهائي، وقرر بعدها إنه لازم

يسيب "إيناس" عشان مش يتعبها معاه، بس في الفترة دي كانت "إيناس" حامل في "محمد" فخاف إنه يسبب ليها تعب والتعب يأثر على الحمل، ده غير إنه كان فاكر إن ممكن يخف، بس للأسف كان غبي الفترة اللي عرف فيها دي كان بيحاول يجمع كل قرش ويحطه في البنك باسم "إيناس" عشان تقدر تعيش هي و"محمد" وميجوش في يوم ويحتاجوا لحد، وكان بيتعالج بالأعشاب عشان يوفر الفلوس، بمعنى أصح كان بيقتل نفسه بس بالراحة، لا وكمان مش رضي يتعالج غير بعد ما طلق "إيناس" عشان مش تحس بحاجة لأن العلاج بيتعبه، ودلوقتي هو في المستشفى وللأسف المرض بدأ ينتشر في جسمه كله، وأمنيته الوحيدة إنه يشوف ابنه و"إيناس" تسامحه أرجوك خلي "إيناس" توافق إنه يشوف ابنه، الدكتور قال إن حالته بتتأخر يوم عن التاني، وانفجر في البكاء على حال صديقه.

***

عودة للواقع

انتهى "مصطفى" من حديثه وهو ينظر "لإيناس" التي تستمع له بصمت غير مدركة لما يقوله هو!

أيعقل هذا؟ إنه يحبها ولم يحب غيرها، وابتعاده عنها لم يكن سوى لخوفه الشديد عليها.

ظلت دموعها تنهمر في صمت تام، ظل ينظر لها "مصطفى" فترة من الوقت منتظرًا منها أي انفعال، أو أي حديث تعبر به عما بداخلها، ولكنها تقريبًا كانت في واقع غير الواقع.

كانت "إيناس" في ذلك الوقت تتذكر كل المواقف السعيدة التي مرت بهما طيلة فترة حياتهما معًا، وأيام خطوبتهما،وتذكرت كيف كان يفاجئها في خروجاتهم، وتذكرت اليوم الذي قام بالاتصال بها وأخبرها أنه يريدها في أمر هام، وكم كانت تشعر بالغضب منه، ولكن بمجرد سماع صوته نسيت كل شيء، ولم تتذكر سوى أن حبيبها يريدها، ذهبت إليه مسرعة فقد كانت تسابق الريح لكي تصل إليه، وبمجرد وصولها أعطاها نوعًا من

الحلوى هو مفضل لديها،كم كانت تشعر بالسعادة حينها، لقد تذكرها وتذكر نوع الحلوى المفضل لديها، وفي يوم عيد ميلادها فاجأها أيضًا، كم كان مشاكسًا، وكم كانت تعشق مشاكسته،فإنها لم تكرهه ولم تنسَه لحظة مثلما فهم الجميع، بل ما زالت تحبه ولكن كرامتها منعتها من قولها حينها، فأظهرت أمام الجميع شيئًا، ولكن بداخلها يوجد شيء مختلف.

فعندما يؤذيك من تحبه فلن يؤثر فيك أي شيء آخر، فهل هناك قاهر أقصى من وجع الحبيب؟!

كانت دموعها تنهمر في صمت وهي تتذكر مواقف عدة حدثت بينهم، حاول "مصطفى" التحدث أكثر من مرة، ولكنها لم تكن تسمعه، لم تكن تسمع سوى صوته هو.

سمع "مصطفى" صوتها بعد فترة ليست بالقلية، وهي تقول له:

- أنا عايزة أشوفه قوم وديني ليه.

انصاع "مصطفى" لطلبها،فقامت "إيناس" لترتدي ملابسها، وأخذت "محمد" وأخذهما "مصطفى" إلى المستشفى التي يوجد بها "حسام"،وقد كان "مصطفى" يشعر بالقلق الشديد على أخته، فهي لم تتحدث سوى بالقليل من الكلمات،وحين وصولهم إلى المستشفى وجدوا "ياسين" يجلس بجوار باب غرفته يبكي بشدة، فاقتربوا منه مسرعين، وسأله "مصطفى":

- "ياسين" في إيه مالك؟

- "حسام" يا "مصطفى" "حسام" في العمليات، تعب جامد والدكتور من شوية قال إنهم لازم يعملوله عملية بسرعة.

بعد هذه الكلمات التي تفوه بها "ياسين" سمعوا صوتًا يسقط بشدة بجوارهم صرخ "مصطفى" قائلًا:

- "إيناااااااااس "

حملها "مصطفى" وذهب بها سريعًا لغرفة فارغة، وجاء الطبيب وطمأنهم قائلًا:

– الحمد لله مفيش حاجة خطيرة، هي الضغط بتاعها بس انخفض شوية، فلازم تبعد عن أي انفعالات، وهتفوق بإذن الله.

كان "محمد" يبكي بشدة على والدته فهو خائف على فقدانها، فاقترب منه "مصطفى" وهو يهدئه، وأخذ يلاعبه حتى استمتع "محمد" بدعابته،وكان كل منهم شاردًا ولا أحد يعرف ماهو القادم خلال الساعات القادمة؟

***

أما في منزل "عبير" فكانت السعادة تعم أجواء المنزل، فلقد أخبرهم "عبير" بكل ما قاله "مصطفى"، ولكن كان القلق مازال متمكنًا من "يوسف" بعد سماعه لكلمة عملية؛ فهو خائف عليها، فحاول الجميع أن يطمئنه وجلسوا ينتظرون زيارة الغد، وبفضل هذا الخبر السعيد صنعت "عبير" الكعك من أجلهم، ومضى بعد الوقت وهم يتحدثون بسعادة.

وبعد مرور عدة ساعات، كانت "إيناس" قد أفاقت وتشعر بالراحة الجزئية، فوقف "مصطفى" بجوارها وهو يربط على كتفها قائلًا:

- حمدالله على سلامتك، عاملة إيه؟

- "حسام" "حسام" عامل إيه يا "مصطفى"؟

- الحمد لله يا "إيناس" خرج من العمليات وفايق دلوقتي، بس إحنا مش قلنا ليه إنك هنا، قلنا الأحسن إنك تعرفيه أنتِ بنفسك.

- طب ساعديني أقوم أروح ليه.

- استني بس شويه لما تحسي إنك كويسة.

- لا أنا كويسة، بس فين "محمد"؟

- أنا خدت تليفونك وجبت منه رقم "عبير"، واتصلت بيها وهي جت وأخذت "محمد" من هنا لأني خفت عليه.

- طيب ماشي.

كان "مصطفى" يشعر بالقلق على أخته كثيرًا، ففي غضون بعض ساعات أصبح وجهها شاحبًا.

اصطحبها "مصطفى" إلى غرفة "حسام" ودخلا سويًّا،وكان في هذا الوقت "ياسين" بجوار "حسام"، وعندما شاهد "إيناس" و"مصطفى" هب واقفًا وذهب إلى "مصطفى" وأخذه وخرجوا من الغرفة.

ظلت "إيناس" واقفة مكانها بضع دقائق والدموع تنهمر من عينيها، وهي تشاهد "حسام" النائم في سريره بضعف ووجه شاحب كثيراً، ولون عينيه التي تعشقها اختفى مع بهتان وجهه، وكان "حسام" ينظر إليها، وهو غير مصدق أن هذه الواقفة أمامه هي "إيناس" حبيبته.

اقتربت منه "إيناس" بخطوات بطيئة بعض الشيء، ووقفت بجواره وجلست على ركبتيها وأمسكت بيديه، وأخذت تبكي بشدة، ولم تقل سوى جملة واحدة:

- ليه مش عرفتني؟ ليه حرمتني منك؟

كانت دموعه تنهر بصمت وبصوت غير واضح رد عليها قائلًا:

- كنت خايف عليكي ،كنت خايف أتعبك معايا وكان كفاية عليكي "محمد" مكنتش عايزك تشوفيني وأنا ضعيف، مكنتش عايزك تضعفي، كنت عارف إني لو حصلي حاجة هبقى مطمن عليكم، سامحيني يا "إيناس".

- أنا سامحتك من يوم ما سبتني، كنت كل ما بفتكرك كنت بزعل منك، ولكن كنت بعدها بفتكر كل حاجة حلوة عملتها ليا، أنا اللي عايزاك تسامحني إني ظلمتك.

ربط على يديها بهدوء وابتسم لها، ثم قال بصوت متعب:

- فين ابني أنا عايز أشوفه.

- حاضر هخلي "مصطفى" يجيبه.

خرجت "إيناس" "لمصطفى" "وياسين" وطلبت منه أن يذهب لإحضار "محمد" "لحسام"،فخرج "مصطفى" مبتسمًا من المستشفى ذاهبًا لمترل "عبير" بعدما أخذ عنوانها من "إيناس"، إنه سيرى "عبير" مرة أخرى هذا

اليوم، ثم نظر في ساعته فوجدها الحادية عشر مساء، كيف يذهب إلى منزلها في هذا الوقت؟

يجب الاتصال بها أولًا:

- الو أستاذة "عبير"؟

- أيوة.

- أنا دكتور "مصطفى" أخو "إيناس" كنت عايز أسألك لو ينفع أجي أخد "محمد" دلوقتي لو مفيهاش إزعاج ليكم.

- لا أبدًا مفيش أي حاجة اتفضل، و"محمد" حتى مش عايز ينام وعايز "إيناس".

- طب تمام انا مسافة الطريق.

- ماشي.

وجد "مصطفى" أن الحديث سينتهي، وهو لا يريد إغلاق الخط معها فسألها:

- طمنتي أخوكي.

- أه الحمد لله. وفرح جدًا.

وأخذ يجذب معها أطراف الحديث إلى أن وصل إلى مترلها، وأنزلت "عبير" له "محمد".

بعدما رحل "مصطفى" ومعه "محمد" أحست "عبير" أنها تريد أن تتكلم معه أكثر، ولم تكن تريد إغلاق الخط، ولكن ما باليد حيلة، فابتسمت وهي تتذكر كيف كان يفتح معها عدة مواضيع ليس لهم أي قيمة، ولكنها كانت تجاريه الحديث.

حينما دخلت "عبير" وأغلقت باب منترلها سألها "يوسف":

- "عبير" هو هيكون في العيادة بكرة؟ عشان الظروف عندهم وكدة.

- مش عارفة بكرة هكلم "إيناس" وأسألها.

وصل "مصطفى" إلى المستشفى، ولكن كان "حسام" قد نام بعدما أعطاه الدكتور المسكن للألم؛ فقد تم بتر ساقه لانتشار المرض فيها وخوفًا من انتشاره في باقي أعضاء جسده.

لم ترضَ "إيناس" أن تترك "حسام" وحيدًا في المستشفى، وصممت على المبيت معه، فذهب "ياسين" إلى منزله، وأخذ "مصطفى" "محمد" وذهبوا إلى المنزل على أن يعودوا صباحًا، ولم تستطع "إيناس" النوم وظلت مستيقظة حتى أذَّن الفجر وصلَّت ثم خلدت إلى النوم، واستيقظت على صوت دخول الطبيب لمعالج "لحسام" وهما يتحدثان سويًا:

- لا عال العال إحنا بقينا أحسن أهو.
- الحمد لله يا دكتور.
- هو عامل إيه يا دكتور؟
- الحمد لله بقى أحسن بكتييير، معلش صحيناكي.

ابتسمت "إيناس" إلى الطبيب، وبعد انتهاء الكشف تركهم الطيب وخرج، ثم وقفت "إيناس" بجوار "حسام" وهي تقول له:

- مش ناديت عليا ليه لما صحيت؟

- عارف إنك أكيد منمتيش، فقلت أسيبك تنامي.

قطع حديثهما دخول "ياسين" الذي أخذ يطمئن على "حسام"، ثم دخول "مصطفى" و"محمد"،فجري "محمد" نحو أمه بسعادة؛ فهو اشتاق لها فحضنته "إيناس" فهي أيضًا اشتاقت له:

- لييه يااا ماااماا سبتيييني لووحدي؟

- معلش يا حبيبي بابا كان تعبان، وكان لازم ماما تفضل جمبه.

نظر لها بعدم فهم، فأردفت قائلة:

- محمد بابا رجع من السفر خلاص وهتشوفه.

لمعت عيون طفلها من الفرحة: وقال لها:

- بجد يا ماما بابا جه؟

- اه والله حتى بص هناك شايف اللي نايم على السرير ده؟ هو بابا نفس اللي في الصورة اللي كنت بوريهالك.

صمت "محمد" محاولًا استيعاب لما تقوله أمه، ثم جرى نحو والده وهو يبتسم بسعادة ويقول:

- هيييييه بابا جه بابا جه.

كان نطقه هذه المرة مختلفًا عن ذي قبل، فلقد اختفى التلعثم في النطق، فبكت "إيناس" من الفرحة، وضمه "حسام" إليه قائلًا:

- أيوه أيوه جيت يا حبيبي، ومش هسيبك أبدًا.

شعروا جميعًا بالسعادة، وقضَوا أغلب اليوم سويًا، وبعد مرور فترة من الوقت، رن تليفون "إيناس" فابتسمت قائلة:

- إزيك يا "عبير" عاملة إيه؟

- اه تمام هو هنا أهو ثواني استني.

- "مصطفى" معاد "يوسف" أخو "عبير" النهاردة زي ماهو ولا في تأجيل؟

- لا زي ماهو يا "إيناس" المعاد زي ماهو يا "عبير" تمام.

قام "مصطفى" حينما حان موعد عيادته، فهو تخلف عنها بأمس، رحل إلى عيادته، وهو يتمنى أن تأتي "عبير" مع أخيها وزوجته، ولكن أحلامه باتت هباء، فلقد أتى "يوسف" وزوجته فقط، ولكنه شعر بألفة وراحة لهما مثلما شعر مع "عبير" وتم تحديد معاد عملية ربط الرحم "لحنان" بعد عدة أيام، وبعد مرور عدة أيام أخرى خرج "حسام" من المستشفى، وأول شيء فعله هو رد "إيناس" إلى عصمته؛ فهو لا يطيق البعد عنهم أكثر من ذلك، وأجرت "حنان" عملية الربط؛ حتى يكتمل حملها على خير بفضل الله، وكانت "حنان" وزوجها يتبعون تعليمات الطبيب كاملة، فهما اشتاقا إلى وجود طفل في حياتهما.

أما عن "مصطفى" و"عبير" فلقد توطدت علاقتهما، فأصبحوا يتحدثون كثيرًا، وكان الاثنين يشعران أن كلًا منهما وجد نصفه الآخر.وبعد مرور عدة شهور

استيقظت "عبير" على صوت صرخة مدوية هزت أرجاء منزلها، فقامت مسرعة، فوجدت "يوسف" يحاول تهدئة "حنان" وهو يقول:

- الحقيني يا "عبير" "حنان" بتولد

***

يقف الجميع أمام غرفة العمليات بأعين دامعة، يدعون الله عز وجل أن تقوم "حنان" وطفلتها بالسلامة، وبعد مرور بعض الوقت، خرج "مصطفى" إليهم من غرفة العمليات وهو يحمل طفلة صغيرة في يده وهو يقبلها، ثم ناولها إلى "يوسف" وهو يقول له:

- تتربى في عزك، و"حنان" دقايق وتطلع ليكم.

بعد الاطمئنان على "حنان"، فاجئهم "مصطفى" بطلب يد "عبير"، ففرح لهما الجميع، وتم تحديد موعد الخطوبة في الشهر المقبل.

***

طريق الضباب

تجد نفسها وسط الطريق حائرة، ولا تعرف ما الذي جاء بها إلى هنا؟ تنظر في طريق ضبابيٍّ لا تكاد ترى فيه سوى نفسها التي أودت بها إلى حيث الذكريات، فتنظر حولها تسمع صوتًا كانت تعرفه جيدًا ينادي عليها من بعيد:

- "ياسمين" أهذا أنتِ؟

كان الرجل ذو اللحية البيضاء والذكريات العصيبة، ينظر لها بعينين غائرتين تحبسان الدموع، ما دامت الحياة وما دام الألم مختلطًا بالأمل حيث الأهات المكتومة والحنين إلى طريق ضبابيٍّ آخر، فتنظر له بعين مليئة بالدموع تكاد تسقط من هول المفاجأة، وتقول:

- هل أنا في وعيي أم أنني أتخيل؟ أهذا أنت؟ ياليت كلماتك كان لها وقع التأثير في نفسي، أو ألجمتني كما فعلت الأيام بي، كما رأيتني قتيلة

الهوى والفؤاد لا يرى، وياليتني سمعت كلماتك لكنت استرحت، ولكنه القدر حين يرجونا أن نخطو في طريق المتاعب طريق الضباب، لماذا عدت الآن؟ ألتذكرني بالماضي وبالآلام التي احتلت قلبي أم لتذكرني بأنني حاولت التمسك بك وأنت تركتني بكل سهولة؟

اقترب منها والشيب يخط في قلبه، فابتسم ابتسامة خفيفة لم ترها هي، ثم أخرج يده من جيبه وبسطهما أمامها دليل على صدق نواياه وصدق دموعه اللامعة وصدق قلبه وكذب الحياة، قالها مدوية صداها في قلب المسكينة:

- إنني لازلت أحبكِ وأفتقدكِ، أراكِ في قلبي مع كل نسمة من نسمات الصباح، ومع كل هفوة من غيث الليل، إنني لا زلت أتذكركِ بلهفة وأشتاق إلى عينيكِ بوله مباح يا"ياسمين".

انهمرت في البكاء وتذكرت الماضي الجميل الذي تحاول خداع نفسها بأنها لن تتذكره، ولن تتذكر سوى أفعاله وردوده التي كرهتها، ولكن في

الحقيقة هي لا تتذكر سوى أافعاله الجميلة التي كانت تحبها، ثم تنظر له بعينيها وتقول:

- وأنا ما زلت أحبك.

وأمسكت يده بتهافت الغارق لطوق نجاة وأمان، فاحتضنها بعينه واحتواها، فابتسمت وقلبها بدأ في نسيان الأذى والألم، ودموعها لا تزال تنهمر جراء جمال الموقف التي حلمت به، فاعتراه رجفة الميل إلى حيث ابتسامتها الوضاءة التي افتقدها، ثم مدَّ لها يده، فتلاقت يده مع يدها في وسط الطريق، ينظر كل منهما إلى لا شيء وكانت بصيرة الحب أغنت عن صوت دفوف معركة الحياة الفانية، قطعًا هي فانية وما يبقى سوى الحب وعمله وما يبقى من الحب سوى طريق ضبابيٍّ كالذي سارا فيه.

***

يالك من أحمق!

تجلس علي سريرها تنظر إلى الهاتف الذي أنهت منه المكالمة في الحال، لا تعرف ماذا تقول أو تفعل أو تفكر؟ هل عليها أن تسمع كلامه الذي قاله لها إن عليها الابتعاد؟ لأن الظروف تقف دومًا في طريقهما. اتجهت نحو شرفة غرفتها، ووقفت تنظر للشفق الأحمر الذي يتلو الغروب، ودموعها حبيسة الضوء الخافت الذي يغزو عقلها،تُرى ما الذي جعلني أفعل هذا الأمر؟ ما الذي جذبني؟ ماالذي أخطات فيه؟! وفي خضم هذه الأفكار وذلك الوجع،سمعت صوت قدوم والدها يستأذن في الدخول عليها إلى الشرفة التي تبعث بداخلها ذكريات خلت، ووجع قادم، فحاولت أن تخفي دموعها مسرعة؛ لكي لا يشعر والدها بشيء، وقالت له تفضل!فوقف بجوارها في الشرفة، وقال لها:

– إن السماء صافية جميلة وفوقها رب يرعانا ويعلم ما بداخلنا، تذكري دائمًا أن الله معنا، ومادام الله معنا فلاشيء يستدعي القلق.

منذ أن دخل وهو يعلم أن ابنته متغيرة؛ فهي شاردة الذهن، فقال لها:

– ماذا بكِ؟!

قالت:

– لا شيء يا أبي إنني مرهقة قليلًا.

– إذن عليكي أن تستريحي.

– سوف أخلد إلى النوم.

– تصبحين على خير يا عزيزتي.

تركها وخرج من الغرفة وهو يعلم أنها ليست على ما يرام، ثم جلست على سريرها، وأخذت تتذكر ما حدث؛ الرب جواد، العمر مديد، القلب له أحكامه، والعقل له أوهامه، وليس للدموع قيمة، فالدموع دائمًا مغلوبة على أمرها، كما هي مقهورة على أمرها،ربما كان في الأمر خطأ! ربما

كانت الطريقة خاطئة! ربما كان الحب أعمى! لا يرى المحب في حبيبته عيب ولا نقصان، ربما في الدنيا بديل أو في الفراق دنيا جديدة! نفضت من رأسها تلك الأفكار التي تهدمها من الداخل، وقررت ألَّا تستسلم لكلماته، إن حبَّها له سيظل، هو أيضًا سيظل لها مهما حدث، فجأة سمعت صوت ارتطام حجر بشرفتها، تُرى من السخيف الذي يفعلها كل مرة ويبعث برسالة حب وغرام ولا تعرف شخصيته!

من الماضي

يجلس على الكرسي المحبب لقلبه أمام (البيانو)، ولم يعد يحب العزف وأصبحت يداه مرتعشتين منذ آخر لحظة عزف أمام الجمهور بالرغم من أن الجمهور وقف ليصفق له على مدى انسيابية مشاعره وموسيقاه، إلَّا أنه أحس بارتعاش أصابعه ورجة قلبه، اعترته الدهشة وقتها لكن ما فعله بعد ذلك هو الأكثر دهشة، فقد اعتراه الخوف بعدما كادت تنقل موسيقاه إلى العالم بأسره، مسح بكفه على البيانو فما وجد غير التراب، حاول أن يرتمي

على آلته الموسيقية المفضلة سابقًا، ولكن دقات الباب حالت دون راحته.

كان الوقت ليلًا و الجو في الخارج ينذر بعاصفة هوائية قريبة، تزحزح الموسيقار بخطوات ثقيلة و اتجه ناحية الباب، فتح الباب ونظر إلى الخارج فإذا به يجد امرأة تقف أمامه، نظر إليها بدهشة شديدة، هل هذه هي؟ إن ذاكرته لاتخونه أبدًا إنها هي من حاولت دومًا الوقوف بجانبه ومساعدته، هي من جعلته يتخطى أغلب الصعاب والمشاكل التي قابلته، هي من كانت تتحمله في أوقات، هي من كانت تراه يحب غيرها ومع ذلك تحملت في سبيل أن تجعله دائمًا مبتسمًا، لم تبح له بحبها إلَّا عندما كادت أن تسافر بسبب عملها، فتركت له ورقة تحكي له عن مشاعرها، وها أنا الآن خسرتها وخسرت من كنت أحب، ثم نظر لها ببرود مصطنع وقال:

– ماالذي أتى بك إلى هنا؟

اتسعت عيناها في دهشة اعترتها لم تكن تتخيل ردة فعله، فتلعثمت في بادئ الأمر ثم قالت:

– أتتركني هكذا في هذا البرد القاسي؟

نظر لها بضيق عين وأشار لها ببرود للداخل فدخلت فإذا بإضاءة خافتة وأريكته، تطلعت إلى البيانو الذي كان في حالة هزيلة، ثم جلست على الأريكة، ووقف الموسيقار في المطبخ يخبرها:

– سأصنع لكِ كوبًا من الشاي، ألا يزال الأمر واقفًا على حدود الملعقتين من السكر؟

– اختفى السكر يا "رفعت" كما أخفيتني أنت، لم يكن ذنبي

فقاطعها قائلًا ببرود:

– ذنبي أنا الذي أحتاج أناسًا في أحلك الأوقات ولاأجدهم، نعم إنه ذنبي.

ظل الصمت لعدة دقائق رفع كوب الشاي لها أمسكته بكلتا يديها لئلا تُفلته ولتأخذ ماتبقى من دفئ هذا الكوب الساخن، كانت تنظر إلى الأرضية تتأملها بخجل، لماذا جاءت إذن؟ قررت أن تقول ماجاءت لأجله حتى وإن كان الأمر سيغضبه:

– أنا أعلم أنك اعتزلت العزف؛ بسبب خيبتك فيما كنت تحب، وكرهت كل شيء الآن من حولك، أعرف أنك ندمت على أنك تركتني، فرحلت وأنت تعرف أنني أريدك فلم يحبك أحد بالقدر الذي أحببتك به، فلقد خسرت كل شيء، وانظر إلى نفسك وإلى مترلك! إن الأمل قد مات بداخلك.

فنظر إليها بارتياب، وقال:

– هل انتهيتِ من الشاي؟

– وبعد يا "رفعت" .. وبعد.

هز كتفيه بلا اهتمام وقال:

– ستعودين إلى المكان الذي جئتِ منه وبعدها سأنام، وسأعود إلى حياتي الروتينية وأنسى كل ما قلتِه هنا.

– هكذا أنتَ دائمًا لاجديد، تتكبر وتتعالى بدون سبب، هل هي ثقة زائدة أم غرور؟ هل تعتقد أني جئت إليك لأتوسل لكي أعود إليك؟ أنت كنتَ تعتقد ذلك، لاأعرف على من أكذب فأنا مازلت أحبك فعلًا.

فتركها ودخل غرفته لم تستطع كتم غيظها جراء بروده، فخطت نحو البيانو لمست أصابعها مفاتيح البيانو، وحاولت أن تذكر يوم أن عَلَّمها تلك المقطوعة مفتاح واحد ثلاثه ماذا بعد؟ كانت تنظر إلى كل مفتاح وكأنه جزء من روحها نتقل إلى روحها، كان كل شيء يذكرها بتلك الأيام ماالذي جعله يفعلها ويعتذر؟ ضغطت بقوة حتى تسمع صوت قلبها نغمة نغمة ترتعش وهي تتأوه بعد سنين الحب، يلتفت قلبها بالحنين إلى رياح ذكريات، ضربت بسرعه على مفاتيح ترجوها وتعلو وتنخفض بها حين أدى الفوضى والفراق تذكرت كلماته بعد عزفت لك النغمة وهنا سمعت صوته كان يتكئ على باب غرفته ويقول لها: لقد أخطأتِ

***

هؤلاء أولادي

تجلس على الرصيف تبكي بكاءً شديدًا، ويمر عليها شاب في منتصف العمر فشاهدها تبكي، فذهب إليها ونظر لها فرآها امرأة في عقدها السابع هزيلة يبدو عليها الطيبة، فسألها:

– لماذا تبكين يا أمي؟

فنظرت إليه بعينيها الجميلتين وقالت:

– لاشيء يابني، فاذهب أينما كنت ذاهب ولا تؤخر نفسك!

فقال لها:

– لا تقولي ذلك يا أمي! فأنتِ مثل أمي التي لا أحب أن أرَها هكذا، أخبريني ما بكِ؟ لعلي أستطيع أن أساعدك.

وجلس بجوارها، فأخذت تبكي وقالت له:

– ياليت أولادي مثلك!

– أين هم؟

– إن أولادي مشغولون بمشاكل حياتهم اليومية.

– كيف ألستِ أمهم؟ ولكِ حق عليهم، أعطني عنوان أحدهم وسوف آخذك إليه!

– إن أولادي هم من ألقوا بي في هذا المكان فكيف أذهب إليهم؟

– كيف ذلك؟

– بعد وفاة أبيهم أشرفت على تربيتهم إلى أن كبروا وتزوجوا، وانشغل كل منهم بحاله، وبقيت أنا وابني الصغير في البيت إلى أن جاء دوره لكي يتزوج، وقرر أن يجلس معي حتي لا يتركني بمفردي، وبعد فترة من الوقت –أي بعد زواجه– تغير الوضع، فزوجته تريد أن تكون وحدها، وبدأت المشاكل بينه وبين زوجته، فاجتمع هو وإخوته وقرروا إرسالي إلى دارٍ للمسنين، وها أنا بها منذ ما يقرب من سبع سنوات، وبين كل فترة وأخرى كان يأتي إليّ أحدهم، ولكن منذ ثلاث سنوات انقطعت أخبارهم،

وأصبحت الأيام متشابهة، اشتقت لرؤية أولادي وأحفادي الذين تركتُهم صغارًا.

كان الفتى يسمعها وهو يبكي، وكانت المرأة تقريبًا لم تتحدث منذ زمن، وكانت تريد أن تُخرج كل ما في جعبتها من حديث، فتركها تكمل حديثها دون أن يقاطعها:

– ولقد خرجت من دار المسنين في نزهة لكن تركت البقية وذهبت، أريد رؤية أولادي أخاف أن أموت قبل رؤيتهم، لقد كان معي في الدار صديقة مثلي تمامًا وماتت وهي تشتاق لأولادها ولا أريد أن يحدث لي هذا أيضًا، أخذت أبحث عنهم ولكني نسيت العنوان.

إن أولادكِ لا يستحقون أن تكوني أمهم، وأعدكِ بأنني سأحاول بكل جهدي أن أصل إلى أولادكِ وأجعلكِ تذهبي إليهم، ولكن الآن لا يمكنكِ البقاء هنا، قومي معي إلى المنزل لتجلسي معي ومع أسرتي إلى أن أصل إلى أولادكِ!

وفعلًا ذهبت معه وعندما وصلت إلى الشارع الذي يسكن به هذا الشاب تذكرت أنه هو نفس الشارع الذي يقيم فيه ابنها، ولكن لعلها تكون خاطئة، وأكملت طريقها مع هذا الفتى إلى أن وصلت معه إلى منزله، وقفت أمامه وسمعته يقول لها تفضلي لقد وصلنا، نظرت إليه والدموع تملأ عينها، هل اسم والدك هو "محمد خليل"؟ فقال نعم، ثم نظرت له ونظر لها وأخذوا يبكون، وراح يقبل يديها ورأت ابنها وزوجته فوقف مذهولًا، ولكنه عرف أنه كان خاطئًا، فذهب إلى أمه يطلب منها أن تسامحه واعتذر من أولاده، وفي المساء اجتمع جميع أولادها وأحفادها للاحتفال بجدتهم ورجوعها إليهم، وفي وسط الضحك نظر الشاب إلى جدته فوجدها قد ماتت وعلى وجهها ابتسامة رضى.

***

يا لهذا الزمن!

أخذتُ أقلب بعض صفحات الكتاب فترة ثم أغلقته ووضعته في مكانه، ثم جلست أفكر في هذه القضية التي سمعت عنها وعن انتشارها منذ فترة، هل لهذه الدرجة المجتمع ينهار بسبب بعض الشباب؟ ماهو السبب الأساسي لانتشار هذه القضية؟ هل هو بسبب انتشار مواقع التواصل الاجتماعي أم بسبب الاستعمال الخاطئ له؟

في هذا الوقت رن هاتفي فوجدت أنها صديقتي المقربة لديّ التي تعمل في شركة دعاية وإعلان، وتستغل مواقع التواصل الاجتماعي لعمل الدعاية اللازمة، بعد أن تحدثنا قليلًا سألتها عن أحوالها وأخبرتها أن صوتها يبدو حزينًا، فقالت لي:

– هل هذا عيب فينا أم في الناس؟ هل تعرفين أنني تعبت بسبب ما يحدث لي؟

– لماذا؟

– إن بعض من يحاولون التواصل معي لا يكون بسبب عملي؛ ولكن لغرض التعارف وما شابهه، وليت هذا فقط ما يحدث لي.

وأكملت حديثها قائلة:

– يفهم بعض الأشخاص أنني أصبحت لا أتقدم للأفضل بل للأسوء؛ بسبب ما يحدث لي من التعامل مع الأشخاص الآخرين الذين يلقون عليّ بعض التهم، ويرسلون وابلًا من الكلمات الساخرة، ماذا يعرفون عني؟ يقولون لي هذا الكلام، وهم ليسوا معي ولا يعرفون شيئًا، أتمنى أن يصبح العالم أفضل وليس أسوء يا صديقتي، فهل يمكن ذلك؟

لم أعرف بماذا أجيبها؟ لأن ما يحدث معي هو تقريبًا نفس ما يحدث معها، فقلت:

– لقد أرسل إليَّ بعض الأشخاص محاولين التحدث معي، وعندما أرفض بعضهم يتقبل الأمر ويعتذر ولكن هم فئة قليلة، أما البعض الآخر فيقولون

هل تعرفين مع من تتحدثين؟ منهم من يقول إنني فتاة جميلة ومهذبة وإنهم يودون الارتباط بي، ومن مجرد ردي عليهم أصبحوا يودون الارتباط بي، إنهم يستخِفُّون بعقولنا، من وجهة نظرهم بم أنكِ فتاة إذن أنت ضعيفة، ليتَهم يعرفون أن لا أحد ضعيف سوى باختياره، إنهم يحكمون على الفتاة من الخارج يا لسخافة هذا المجتمع! سنتغير يومًا بالتأكيد ياصديقتي، ولكن علينا أولًا إثبات أنفسنا وأنهم خاطئون.

***

الوفاء

ها هي هذه الأم تخرج من منزلها صباحًا كل يوم في نفس الوقت، فتذهب إلى عملها وتترك أبنائها الصغار في المنزل، فقد تُوفي من كان سند لهم؛ إنه زوجها تُوفي منذ عامين تقريبًا، وبرغم عمله الشاق كان يعود إليهم كل يوم وعلى وجهه ابتسامة، وكان يأتي لكل واحد منهم بما يحبه، ويجلس بينهم يلعب مع أولاده ويضحك، ولا يتأخر عن تقديم المساعدة لأحد أبدًا، وكان يفضل الآخرين عليه، ولايخاف أحدًا سوى الله ويؤمن بالقدر جيدًا، ولا يخرج منه لفظ سيء، وعندما كان يعود من عمله كانت تُلح عليه بأن يرتاح قليلًا، ولكنه كان يقول لها:

– أنا مرتاح هنا وأنا معاهم سيبيني معاهم محدش عارف عمره لحد إمتى؟ خلي الشوية اللي فاضلين من عمري أكون معاهم أصلهم هيوحشوني أووي لما أموت.

كانت زوجته تبكي عند سماعها هذا الكلام، فكان يقول لها لا تبكي يا عزيزتي؛ فإن هذا يوم لا بد منه، وكان يدعو الله دائمًا بأن يكون يومه قبل يومها.

وها هو الآن ذهب إلى ربه، إنها تفتقده كثيرًا؛ تفتقد سماع صوته وهو يقرأ القرآن كل يوم بعد صلاة الفجر، وها هي الآن تذهب إلى عملها؛ فإنها عاملة في أحد الفنادق (تعمل من الثامنة صباحًا وحتى الثالثة ظهرًا)، وبعد هذا العمل تذهب لشراء ما تحتاجه ثم تعود إلى منزلها.

وفي يوم من الأيام وهي تَهُم بالخروج من منزلها، سمعت صوت أحد أبنائها وهو يبكي، فذهبت إليه مسرعة، إنها ابنتها مريم وقعت على الأرض ولا تستطيع النهوض، فتحاول الأم مساعدتها ورفعها ولكنها تصرخ بشدة، فتتصل الأم سريعًا بالإسعاف وتترك الأم ابنها الصغير مع جارتها، وصلت الأم إلى المستشفى إنها في غرفة الكشف مع الطبيب، وبعد فترة خرج الطبيب وقال لها إن حالة ابنتها خطيرة وتحتاج إلى إجراء عملية سريعًا،

ويقول لها ثمن العملية وأنه لن يقوم بإجراء العملية إلا عند تجهيز المبلغ، لا تعرف الأم من أين تأتي بالمبلغ فتذهب مسرعة إلى مكان عملها وتطلب سُلْفة ولكن المبلغ كبير فيرفض المدير، فأخذت تذهب من شخص لآخر لكن لم يستجب لها أحد، لم يعد أمامها غير شقة واحدة؛ إنها شقة ذاك الرجل الذي يخافه الناس ولا يتحدث مع أحد، فتتردد في الذهاب إليه لكن لا مفر، فترنّ الجرس فيفتح لها ال باب ويندهش الرجل لرؤية أحد من جيرانه أمامه، فجيرانه الذين اعتبروه عدوًّا لهم يخافون منه لأنه قليل الكلام لا يُعرف ماذا كان يفعل، فينظر إليها ويبتسم ويقول لها تفضلي، فتدخل المرأة وتحكي له ما حدث لابنتها، فيطلب منها الانتظار، ثم عاد إليها وذهب معها إلى المستشفى وطلب دكتورًا من أصدقائه الذين يعرفهم ودفع المبلغ، ويتم الآن تجهيز البنت لإجراء العملية، وبعد فترة تخرج مريم ويقول الدكتور لهم إن العملية قد نجحت، وإنها تحتاج فقط إلى بعض الراحة، فتشكر الأم ذاك الرجل كثيرًا على وقوفه معهم، وتقول في

نفسها إن الحكم على الناس من المظهر ليس إلا غباء من الأشخاص، فعلينا معاشرتهم قبل الحكم عليهم.

وها هي "مريم" تجلس عند قبر والديها تدعو لهم بالرحمة، وبجوارها زوجها وأولادها.

***

الصلح خير

كان لديَّ صديقة عزيزة أحبها كثيرًا، عرفتها منذ مدة قصيرة عن طريق مواقع التواصل الاجتماعيّ، فتشاركنا معًا كل شيء وكنا نتحدث دائمًا عن الفرح والحزن، شاركتني أحب الأوقات إليَّ وتشاركنا العمل أيضًا وسعدنا ببعضنا؛ لأن هدفنا واحد وأفكارنا متشابهة، لكن في يوم من الأيام وكان هذا اليوم محزنًا كثيرًا، كنت متعبة للغاية وحدث ما لم أكن أحب أن يحدث أبدًا بيننا، حدثت الخلافات والمشاكل، وهي لم تُراعِ حزني وغضبي وحاولت الحديث معي في وقت خاطئ، وأنا انفعلت زيادة عن اللازم وحظرتها ليس فقط من مواقع التواصل الاجتماعيّ، بل من حياتي، هل تعرفون؟ إنني أشتاق لها كثيرًا لكنها لا تبالي ولا يبالي أحد بغيابي.

إنكِ خاطئة فهي تشتاق إليكِ كما تشتاقين إليها،

ومهما يكن فأنا لست ضعيفة لابد من الحديث معها، أو أن أعترف بخطئي إذا هي لم تعترف،

وكيف تعترف بخطئها وهي لا تستطيع التواصل معك؟

ابدأي بالحديث يا صديقتي فهذا ليس صغف بل قوة، واعلمي أنكِ سوف تظلين صديقتنا مهما حدث بينا من خلاف وهي تبلغكِ سلامها!

***

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار أدباء 2000 للنشر والتوزيع

تابعونا على الهاشتاج الخاص بنا

#أدباء_2000

وعلى الصفحات الرسمية للدار

https://www.facebook.com/Odabaa2000/

https://www.facebook.com/groups/1686790618200616

https://www.facebook.com/odabaa2000.Publishinghouse